أصدقائي

فصادة الصغيرة



تأليف حمدي عمارة
رسوم منال بدران

الدار المصرية اللبنانية

ذات صباح مبكر من أيام الصيف، أيقظت أم الفصاد صغارها وقالت لهم: ـ اسبقوني إلى مكان الحَبِّ بالحقول.

عندئذ سأل كبيرهم في دهشة: ـ ألن تصحبينا اليوم يا أماه؟!.

وسأل آخر فزعاً: ـ هل أُصِبْتِ بمكروه يا أماه؟!.

فردّت الأم مطمئنة صغارها:

ـ لا تفزعوا يا صغاري، إنني في تمام الصحة والعافية.. وأحمد الله على ذلك، ولكني سأتأخر قليلاً لأوقظ أخاكم الصغير.

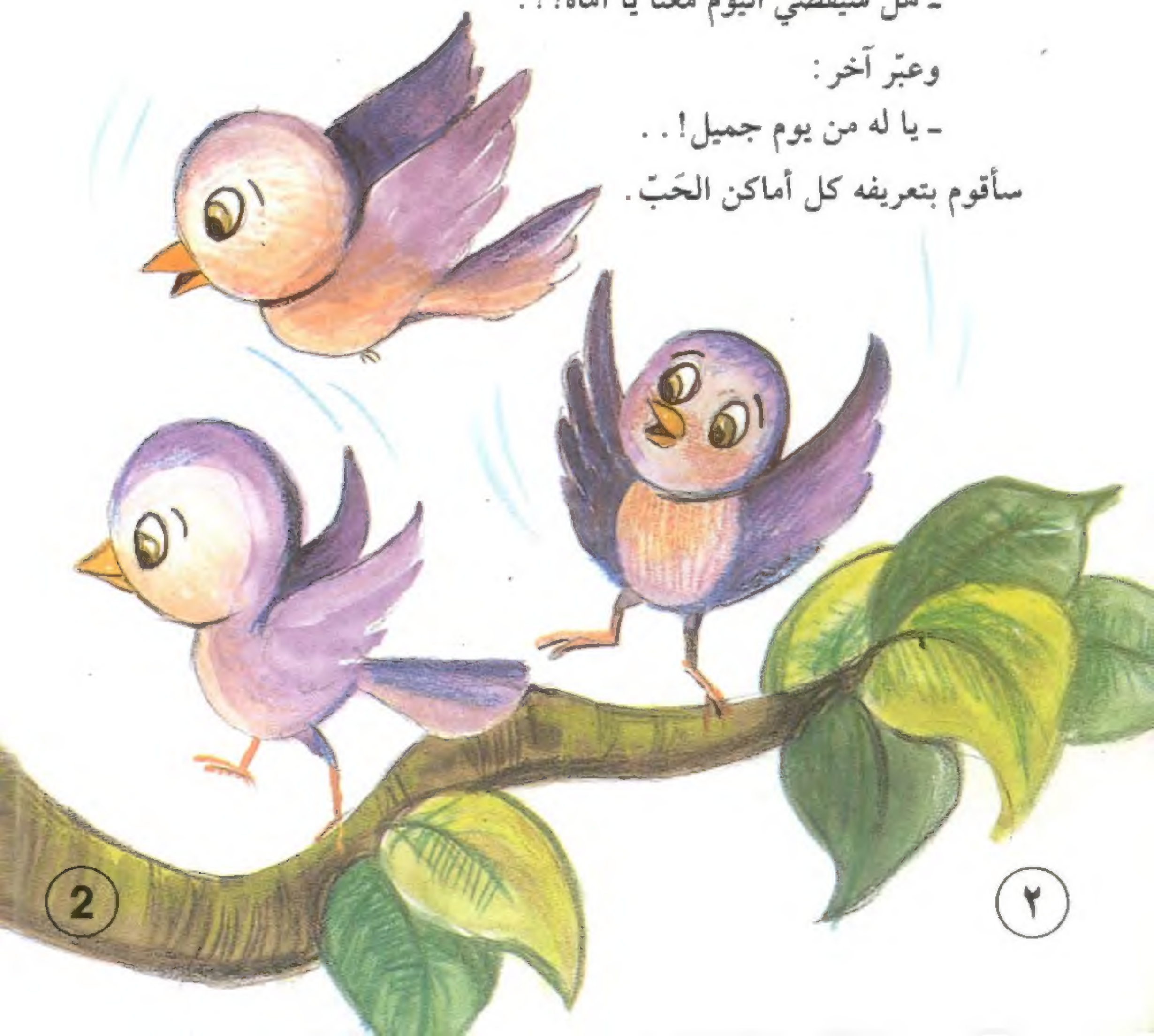
تهلل الصغار فرحين.. في حين سأل أحدهم:

ـ هل سيقضي اليوم معنا يا أماه؟!.

وعبّر آخر:

ـ يا له من يوم جميل!..

سأقوم بتعريفه كل أماكن الحَبّ.



وأضاف آخر: ـ وسأُعَرِّفَه مجرى المياة العذبة.

وتدخلت الأم قائلة: ـ لا تضيعوا الوقت هباءً، ولتمضوا.. هيا.

أطاع الصغار أمهم وانطلقوا في الفضاء، وعادت الأم لتوقظ فصادة أصغر الأبناء قائلة في حنان:

ـ قُمْ يا صغيري، فقد صحت البلابل والعنادل، وصحا الحمام واليمام والعصافير، وكل الطيور، وسبقك إخوتك ليطعموا الحَبَّ والبقول، اصْحَ يا فصادة. فتح فصادة عينيه، وتلفت حوله، ثم نظر إلى



أمه . . وسألها في استغراب :

ـ لِمَ تُوقظينَني في هذه الساعة المبكرة يا أمي؟! .

ضحكت الأم قائلة :

ولِمَ يستيقظُ الطيور والحيوانات، وسائر الأحياء؟! . . لقد استيقظ الجميع من أجل العمل . . هيا، لقد طلعت الشمس، وسبقتنا الطيور إلى الحقول . . هيا يا فصادة لنلحق بإخوتك .

ـ إلى أين؟! .

ـ آن الأوان لتعتمد على نفسك في الحصول على الطعام والشراب . . هيا يا عزيزي .

ـ ولكنني ما زلتُ صغيراً يا أمي .

ـ كنت بالأمس صغيراً، ولكنك اليوم أصبحت كبيراً، كما أنني دربتك على الطيران، حتى عرفت أصوله وفهمت





قواعده، وفي مقدرتك أن تحلّق في الفضاء وتسبح فيه إلى مسافات بعيدة مثل إخوتك، لا تكسل يا فصادة.. هيا.

فكر فصادة برهة.. ثم قال مصطنعاً الضعف:

ـ الحرّ شديد يا أمي الحبيبة.. كما أنني لا أَقْوَى على العمل.. ألست أصغر إخوتي؟!.

خشيت الأم أن تتأخر فتركت الصغير العنيد وعجّلت بالطيران.. واستلقى فصادة في العش، واستغرق في نومه الهادىء، وكانت أشعة الشمس قد افترشت الأرض وما فوقها.. لسعته حرارتها فقام من نومه.. وخرج من عشه، وأخذ يلعب فوق الشجرة الكبيرة، يتقافز من غصن إلى غصن، وينصت إلى حفيف الأوراق حين يداعبها النسيم، وانبرى يعبّر عن سعادته بأنشودته، وما لبث أن طار إلى حديقة الزهور.. يتنسم الهواء النقي، وينتعش بروائح الزهور.



وما إن يبتعد عن الوردة الحمراء حتى يعود إليها ويطير نحوها. . ويحّط فوق غصنها، يداعبها. . ويرتشف قطرات الندى من بين أوراقها، كما يداعب زهرة البنفسج، ويحّط فوق الياسمينة، يتمايل به غصنها فيشدو لحن السعادة، يلمح فراشة فيطير لمعاكستها وملاطفتها، ويمضي فصادة في ألعابه الطريفة، وحين يشعر بالتعب. . يستريح في ظل شجرة التوت القريبة، يلفت نظره نملة صغيرة تجري بأقصى سرعتها. . !. . يعترضها فصادة. . ويسألها بين دهشته:

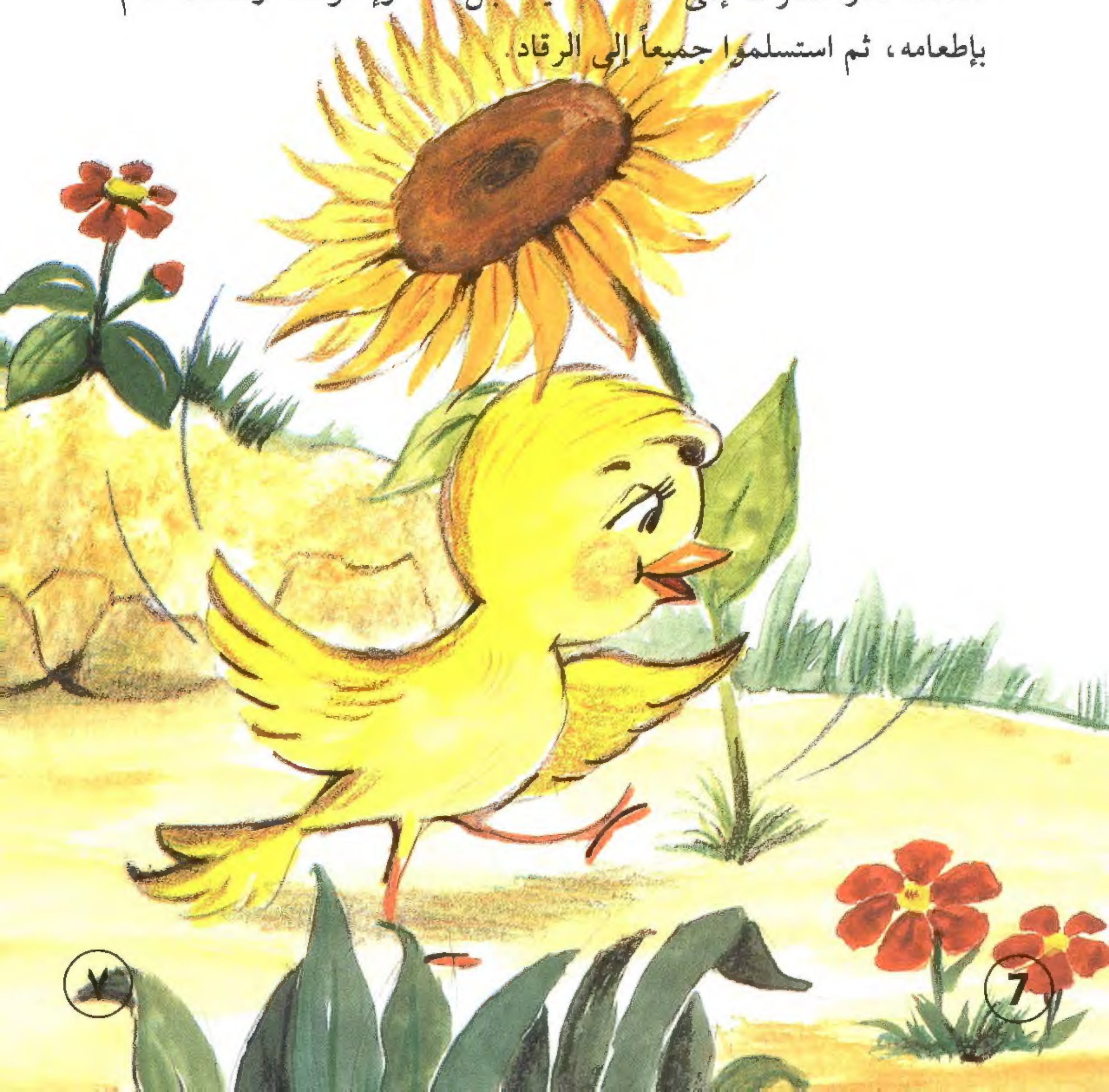
ـ أراكِ تُسابِقينَ الرياحَ يا عزيزتي النملة؟!.



قالت النملة وهي تجري:

ـ أرجو أَلَّا تعطلني عن عملي يا فصادة، إنني ذاهبة لأجلب الطعام، والطريق إليه شاق وبعيد... أرجوك يا فصادة.

ويدعها فصادة لتواصل طريقها في حين وقف يرقبها.. وبعد أن نال قسطاً من الراحة، عاد إلى لعبه، ومضت ساعات النهار ساعة بعد أخرى، وحين زحفت الشمس نحو الغرب، رأى فصادة الطيور عائدة، عندئذ طار مسرعاً إلى عشه.. ليستقبل أمه وإخوته، وقامت الأم بإطعامه، ثم استسلموا جميعاً إلى الرقاد.



وفي كل يوم، وأم الفصاد توقظ الصغير، وفي كل مرة يُبدى الأعذار.. ويختلق الأسباب، أو يُظْهِر الضعف وعدم القدرة على العمل، ودائماً يردِّد: ـ ألست أصغر إخوتي؟.

وكل ذلك كان هروباً من العمل، وحبًّا في اللهو واللعب، وكانت الأم تشعر بالقلق الذي يزيد كل يوم عن سابقه، كما تشتد لوعتها تجاه إهمال صغيرها، واعتياده الكسل، وعدم اعتماده على نفسه وتحّمل المسئولية كإخوته، مما يعرّض مستقبله للفشل، وحياته للضياع، ويؤكد فشل الأم في تربيتها إياه، وهي المسئولة، مما يدعو الأم لأن تعدّ لحل مشكلة الصغير العنيد.

وذات يوم، وفي وقت القيلولة ـ أي الراحة ـ وتحت شجرة ظليلة، شاورت الأم أبناءها في أمر فصادة الصغير، وعرضت أسباب مخاوفها، وجعلوا يتحاورون فيما بينهم، كُلٌّ يعرض فكرته، ويُبدى رأيه، وكل



برهة يشملهم الصمت، كل واحد يفكر في الحل الأمثل، لتهتف الأم:

ـ يا لها من فكرة! سأقوم أنا بتنفيذها هذه الليلة.

وعندما سألها الصغار قالت:

ـ ستعرفون كل شيء في العش..

لاح الشفق الأحمر من الأفق.. وحلّقت الطيور تتسابق إلى أعشاشها، ملهوفة على صغارها، وكان من بينها أم الفصاد تشق هي وأبناؤها الفضاء، متخذين مسارهم نحو شجرتهم، وكان فصادة قد سبقهم إلى العش، وقد شبع لعباً وغناءً وفرحاً بحياته الخالية من المشقة، وكانت معدته فارغة.... وقف على باب العش ينتظر أمه وإخوته، متلهفاً إلى الطعام كعادته، ويأتون جميعاً فيهفهف فصادة بجناحيه فَرِحاً، ويدخلون العش جميعاً، وكان الصغار يرقبون الأم، فماذا تصنع إزاء فصادة العنيد؟.. وما هو تصرفها العاقل الحكيم.



انتظر فصادة أن تطعمه أُمُّه كعادتها منذ أن خرج من بيضته، ظال انتظاره . . جعل ينظر إليها . . ويمرُّ أمامها بدون فائدة، تعجب فصادة لهذا الموقف الغريب، فالأم راقدة لا تلتفت إليه . . ولا تأبه له! وإخوته يرقبون ما يجري وفي قلوبهم شفقة . . سأل فصادة في تردد:

ـ هل . . هل طعمتم يا أماه؟!

ـ أجل . . وحمدنا الله على رزقه ونعمه.

ـ و . . . ومعداتكم ممّتلئة بالحَبّ؟!.

بل . . أصناف الحبوب.

هتف فصادة معاتباً:

ـ وأنا؟!.

ـ ماذا بك؟.

ـ حوصلتي فارغة، وأشعر بالجوع الشديد.

تأثرت الأم بشدة، ولكنها كبتت مشاعرها قائلة:



ـ معذرة يا صغيري، لقد نسيت طعامك هذه المرة.

فزع فصادة:

ـ كيف نسيتِ يا أُمي؟!.

ـ سهوتُ عنك، جَلَّ من لا يسهو، عموماً لن أنْسَى في الغد القريب.

أصاب الذعر فصادة:

ـ وكيف أنتظر الغد؟ سأموت جوعاً!.

تغلبت الأم على مشاعرها، ومضت في علاج صغيرها.. وقالت غير مبالية:

ـ ولو.. من لا يعمل لا يستحق أن يأكل.

ـ ولكن...



قاطعته الأم في حسم قائلة في صرامة:

ـ وليست هذه الليلة فقط، بل الليالي المقبلة أيضاً.

ـ يا أمي . . إنني.

وقاطعته الأم ثانية، قائلة في شدة:

ـ هذا قراري ولن أَعْدِلَ عنه، ولتلتزم الصمت، فقد حان موعد النوم. ارتجف الصغير وطاش صوابه، وجعل ينقل بصره بين أمه وإخوته.. الذين لا يُعلّقون بكلمة، ولا يحرّكون ساكناً. فكر فصادة قليلاً، ومضى يحدث نفسه:



ـ لا فائدة . . ولا جَدْوَى من التمثيل . .

عندئذ لمعت عيناه . . وخرج صوته واثقاً:

ـ أرجو أن تنصتي يا أمي إلى قراري الهام.

دَبَّ قلب الأم، وانتبه الإخوة حين اندفع فصادة قائلاً في عزم:

ـ من الغد سأصحو قبلكم، وأبادر بإيقاظكم، وأنطلق معكم إلى العمل، لقد كبرت ولم أعد صغيراً كما قالت أُمي.

ثم دنا من أمه واستطرد:

ـ أعدك يا أمي أن أعتمد على نفسي وأتحمل مسؤوليتي، وأدعو الله أن يُقَوِّيني على جوعي حتى الصباح . .

كم كانت فرحة الأم وفرحة الإخوة حينما سمعوا ذلك، وقاموا





لتهنئته وعناقه، واحتفلوا بهذه المناسبة السعيدة، وفي نهاية الحفل قدمت الأم مفاجأتها، فقامت تطعم فصادة الصغير لآخر مرة.

وعندما صاح الديك في الصباح التالي، صحا فصادة، وأيْقَظَ أمه وإخوته ثم وجّه حديثه لأمه:

ـ أرجو أن تستريحي يا أمي، كفاكِ ما تبذلينه من عملٍ وكفاحٍ من



أجلنا، فقد كبرنا جميعاً ونستطيع أن نتحمل مسئوليتنا، وقد آن الأوان لنردّ بعض أفضالك.

رقص قلب الأم، وقالت في تأثر شديد:

ـ بُوركت يا فصادة، فما زلت أشعر بالصحة والعافية، والعمل بالنسبة لي نزهة، وكم أشعر بالسعادة حين تكون النزهة مع صغاري وأحبابي!.

وينطلقون جميعاً يمرقون من أجواز الفضاء، وفي مقدمتهم فصادة الصغير.



سلسلة أصدقائي

الطبعة الثانية
١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م

رقم الإيداع ٨٣٦٧/ ٩٣
الترقيم الدولي
I.S.B.N
977 - 270 - 101 - 4

الدار المصرية اللبنانية طباعة . نشر . توزيع
١٦ شارع عبد الخالق ثروت - ت ٣٩٢٣٥٢٥ - ٣٩٣٦٧٤٣ فاكس ٣٩٠٩٦١٨ برقيا: دار شادو - ص ب ٢٠٢٢ - القاهرة
AL - DAR AL - MASRIAH AL - LUBNANIAH Printing - Publishing - Distribution
16 Abd El Khalek Sarwat St. P.O.Box 2022 Cairo - Egypt Tel 3923525-3936743 Fax 3909618 Cable Dar Shado